مدخل إلى الاقتصاد

ذ. المريزق المصطفى

7/2021

المدارس الاقتصادية المختلفة ونظرياتها

المدرسة الكلاسيكية3
الجزء الأخير

نتابع في هذه الحصة الحديث عن المدرسة الكلاسيكية وروادها كجزء لا يتجزأ من تاريخ الفكر الاقتصادي في ارتباط تام مع التغيرات والتحولات التي حدثت في أوروبا خاصة منذ نشأة الرأسمالية الميركانتيلية

إنه تحول مهم، شمل كل مناحي حياة الإنسان، الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والسياسية والنفسية

ولهذا يمكن اعتبار آراء المدرسة الكلاسيكية انعكاسا لهذه التحولات ولهذه التطورات واستجابة لمقتضياتها وكما أشرنا في السابق، أدى هذا التطور إلى ظهور الرأسمالية الصناعية، التي وظفت رؤوس الأموال التي جنتها من التجارة ومن البنوك، ومن استثمارها في نظام إنتاج جديد ذا طاقة إنتاجية ضخمة

وهنا لا بد من الإشارة كذلك، إلى تغيير طبيعة النظام الذي أصبحت فيه الصناعة تحتل المركز الرئيس بدل التجارة، والتي جعلت من "السوق" فضاء لتصريف وتوزيع سلعها في الداخل والخارج، وهكذا أصبحت التجارة في خدمة الصناعة

كل هذا ترتب عنه تغير اجتماعي جذري، إذ أصبح رجل الصناعة هو الفاعل الاقتصادي الرئيسي في هذا النظام

من جهة أخرى، لا بد من الإشارة إلى أن ظهور الطبقة العاملة كان من نتائج هذا التغير الاجتماعي المرتبط بنشأة الرأسمالية الصناعي، والذي نتج عنه انفصال تام بين من يملك رأس المال (الطبقة البورجوازية) وبين من يملك قوة العمل كسلعة مثل باقي السلع(الطبقة العاملة)

تعزز هذا النظام كذلك، بالحق في الملكية الفردية الشخصية وتنمية رؤوس الأموال وزيادتها بكافة ومختلف الأساليب والطرق، من أجل الربح لتلبية احتياجات الإنسان بشقيها الكمالية والأساسية

كما يركز هذا النظام على زيادة ثروات الإنسان في السوق الحرة (من دون قيود) من دون أية ضرورة لتدخل الدولة والنظام السياسي لحمايته، حيث إنه يستند على حرية التملك والبيع والشراء والاستيراد والتصدير وغيرها من الأنشطة الاقتصادية المختلفة، ويلغي حرية الآخرين إذا ما تطلب الأمر من خلال سن القوانين التي تحمي الأموال والممتلكات دون مراعاة الغير

أما على المستوى السياسي، فالدولة قد جردت من وظائفها الاقتصادية، وأصبحت، موحدة تتكفل بحرية الأفراد التي تقوم عليها الرأسمالية، مع الحد من سلطات الحكام (موقف روسو من فكرة الحكم المطلق)

فكل هذه الأسس الاقتصادية التي وضع حجر زاويتها آدم سميث، واستمرت حوالي 100 سنة، بلغت نضجها الكامل مع دافيد ريكاردو، وجون ستيوارت ميل (1873/1806)، جان باتست ساي (1832/1767) حيث هيمنت نظريات المدرسة الكلاسيكية على الفكر الاقتصادي في بريطانيا العظمى إلى حدود عام 1870 مركزة على سياسة النمو الاقتصادي وعلى حرية الأسواق والمنافسة الكاملة والابتعاد عن أي تدخل للدول في الاقتصاد

طبعا، لا يجب أن ننسى دور القوانين العلمية التي ظهرت في أوروبا منذ العالم نيوتن، والتي تعتبر مهمة العلم الحقيقية تكمن في كشف وتحديد القوانين العامة التي تحكم العالم كله ، والتي تخضع لها الموجودات من أصغر إلى أكبر كوكب، وأن العقل هو السبيل الوحيد إلى ذلك (ظهر هذا الاتجاه مع ديكارت: "أنا أفكر، فأنا إذن، موجود"،)

التحرر من الفكر الديني، والنزعة الفردية، ودور العلوم الإنسانية والاجتماعية ساعد المدرسة الكلاسيكية البحث في المشكلات الاقتصادية، واعتبارها خاضعة لقوانين علمية محددة يجب كشفها وتحديدها على ضوء الفكر ليتكون من مجموعها "علم" الاقتصاد السياسي

لعبت الجامعة دورا كبيرا في تطور المدرسة الكلاسيكية من خلال تدريس الاقتصاد السياسي على يد ألفرد مارشال في أنجلترا، ووشارل جيد وشارل رست في فرنسا

خلاصة

بنت المدرسة الكلاسيكية تحليله الاقتصادي على فلسفة عامة، من بين نقطها المهمة نذكر

- ✓ لفرد هو الوحدة الرئيسة للنشاط الاقتصادي
- ✓ تحقيق المنفعة في كل نشاط اقتصادي
- ✓ المصلحة العامة هي مجموع الخاصة
- ✓ كل تبادل تجاري يجري مقابل ثمن يحدده السوق، والثمن يتغير وفقا لقانون العرض والطلب

الميل بين الرجل والمرأة يدفع إلى التناسل وإلى زيادة عدد السكان، وبالتالي يجب الحد من التناسل لتكون المواد الغذائية متناسبة مع عدد السكان (ضرورة الموانع الوقائية)

- ✓ نظرية قيمة العمل: هناك فرق بين القيمة الإستعمالية والقيمة التبادلية. فقيمة الاستعمال = المنفعة، وقيمة التبادل = النسبة المحصل عليها من كل مبادلة سلعة في السوق. تتحدد قيمة المبادلة لأي سلعة على أساس " كمية العمل" الذي تحتوي عليه، أي على أساس عدد ساعات العمل التي بذلت في إنتاجه (العمل هنا = العمل المباشر+ رأس المال+ المواد الأولية). مثلا "سلعة أ" ما استلزم صنعها 5 ساعات من العمل، و"سلعة ب" استلزمت 10 ساعات من العمل، فإن المبادلة بين أ وب تتم في السوق على أساس عدد 2 وحدة من السلعة الأولى في مقابل وحدة واحدة من السلعة الثانية (عرفت هذه النظرية بنظرية قيمة العمل)

الحصة المقبلة سنتطرق فيها للمدرسة الماركسية

مع تحياتي وعيدكم مبارك سعيد